



تعلوب موسيقاراً

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود

بريشة : عبد الشافي سيد



المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

14511 - 14512 - 14513 - 14514

الطبعة الأولى: 1451

تَوَهُمُ تَغْلُوبُ نَفْسَهُ مُوسِيْقَارًا عَظِيمًا مُوْهُوبًا ، وَعَاشَ فِي هَذَا
الْوَهْمِ عِدَّةَ أَشْهُرٍ ، بَيْنَمَا هُوَ فِي الْوَاقِعِ غَبِيٌّ شَدِيدُ الْغَبَاءِ .. وَلِذَلِكَ
اشْتَرَى نَايًا ، وَأَخَذَ يَغْزِفُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى ارْتَعَجَ الْجَمِيعُ ..
فَعِنْدَمَا كَانَ يَجْلِسُ خَارِجَ مَنْزِلِهِ ، وَيَغْزِفُ عَلَى النَّايِ الْحَاضَةِ
الْمُنْفَرَّةِ ، كَانَتِ الْقِطَطُ تَمُوءُ ، وَالْكِلَابُ تَغْوِي بِشِدَّةٍ ، وَكَانَ النَّاسُ
يَهْرَبُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ .. وَبِرَغْمِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ
كَانَ يَتَوَهُمُ نَفْسَهُ أَكْثَمَ غَارِفٍ عَلَى النَّايِ ..



وَبِرَغْمِ هَذَا الْإِدْعَاءِ الْكَاذِبِ لِحُبِّ الْفَنِّ وَالْمُوسِيقَى ،
فَإِنْ تَغْلُوبًا كَانَ بِخِيَلًا جَشِعًا فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ
وَتَكْدِيسِهَا بِالطَّرُقِ الْعَشْرُوعَةِ ، وَغَيْرِ الْعَشْرُوعَةِ ..
وَذَاتَ يَوْمٍ اسْتَوَلَى تَغْلُوبٌ عَلَى صُنْدُوقِ كَبِيرٍ مَلَى
بِالْمُجَوَهَرَاتِ ، كَانَ يَمْتَلِكُهُ أَحَدُ الثَّجَارِ ، وَعَجَزَ التَّاجِرُ
عَنْ إثْبَاتِ مِلْكِيَّتِهِ لِلصُّنْدُوقِ ، بِكُلِّ الطَّرُقِ وَالْوَسَائِلِ ،
فَجَلَسَ عَلَى رَأْسِ الطَّرِيقِ يَبْكِي حَزِينًا ..



وَذَاتَ صَبَاحٍ كَانَ ارْتُوبُ يَرْكَبُ حِصَانَهُ ، وَيَنْطَلِقُ بِهِ
فِي الْخَلَاءِ ، فَرَأَى تَاجِرَ الْمُجَوَاهِرَاتِ جَالِسًا يَبْكِي عَلَى
مَالِهِ الَّذِي ضَاعَ ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ ، حَتَّى وَقَفَ بِجَوَارِهِ ،
وَقَالَ لَهُ :

- مَا لِي أَرَاكَ حَزِينًا مَهْمُومًا يَا صَدِيقِي ؟! هَلْ تَوَقَّعْتَ
الشَّمْسُ عَنْ إِرْسَالِ دِفْنِهَا إِلَى الْأَرْضِ ؟ أَمْ كَفَّتِ الْأَرْضُ عَنْ
إِخْرَاجِ الزَّرْعِ ؟!
فَقَالَ التَّاجِرُ :

- لَقَدْ سَرَقَ أَحَدُهُمْ كُلَّ ثَرَوَتِي مِنَ الْمُجَوَاهِرَاتِ ، وَرَقَضَ
أَنْ يُعِيدَهَا إِلَيَّ ..



فَتَبَسُّمُ ارْتُوبُ وَسَالَةٌ :

- وَمَنِ الَّذِي اسْتَوَلَى عَلَى مَجْوَهْرَاتِكَ ، أَيُّهَا التَّاجِرُ الطَّيِّبُ !

فَأَجَابَهُ التَّاجِرُ : تَغْلُوبُ الْجَشَعُ ..

فَضَحِكَ ارْتُوبُ طَوِيلًا ، وَقَالَ لَهُ :

- طَالَمَا أَنَّ صُنْدُوقَ مَجْوَهْرَاتِكَ قَدْ وَقَعَ فِي يَدِ تَغْلُوبِ الْجَشَعِ ،

فَكُنْ وَاثِقًا بِأَنِّي سَوْفَ أُعِيدُهُ إِلَيْكَ ..

اعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى ..



وَتَرَكَ ارْتُوبُ التَّاجِرَ فِي مَكَانِهِ ، ثُمَّ قَادَ حِصَانَهُ مُتَوَجِّهًا
إِلَى مَنْزِلِ تَعْلُوبِ ، وَطَرَقَ بَابَهُ بِشِدَّةٍ ، فَلَمَّا فَتَحَ تَعْلُوبُ
الْبَابَ وَرَأَاهُ كَثُرَ عَنْ أَنْيَابِهِ وَزَامَ ، ثُمَّ قَالَ :
- مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ إِلَى مَنْزِلِي أَيُّهَا الصَّدِيقُ غَيْرُ الْمُرْعُوبِ

فِي صِنْدَاقَتِهِ ١٩

فَقَالَ ارْتُوبُ بِلَهْجَةٍ وَنُودٍ ، تَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِنَ الرُّجَاءِ :
- جِئْتُكَ فِي أَمْرٍ خَطِيرٍ ، وَارْجُو أَنْ تُلَبِّيَنِي لِي ..



زَادَتْ تَكْثِيرَهُ تَغْلُوبٍ عَنْ ذِي قَبْلِ ، وَقَالَ لَهُ :

- أَيْ أَمْرٍ خَطِيرٍ يَا ارْتُوبُ ؟

فَقَالَ ارْتُوبُ :

- سَمِعْتُ أَنَّكَ تَعْرِفُ عَلَى النَّأْيِ عَرَفًا رَائِعًا ..

فَانْشَرَحَ صَدْرُ تَغْلُوبٍ ، وَقَالَ مُتَبَاهِيًا :

- هَذَا صَحِيحٌ ، فَأَنَا أَعْظَمُ مُوسِيقَارٍ ، وَأَعْظَمُ عَارِفٍ عَلَى النَّأْيِ .. وَ ...



فَقَاطَعَةُ أَرْثُوبٍ مَادِحًا :

- وَلِهَذَا جِئْتُ أَرْجُوكَ أَنْ تَعْرِفَ لِي قَلِيلًا عَلَى النَّاسِ ،
فَإِنَّا أَحِبُّ الْإِسْتِمَاعَ إِلَى عَرَفِكَ ..

فَانْتَشَى وَجْهَهُ تَعْلُوبٌ بِالْفَرَحِ وَقَالَ لَهُ :

- أَنْتَ ذَكِيٌّ جِدًّا يَا أَرْثُوبُ ، طَالَمَا أَنَّكَ تُحِبُّ الْإِسْتِمَاعَ إِلَى
الْعَارِفِينَ الْمَوْهُوبِينَ أَمْتَالِي .. تَفْضَلُ بِالِدَاخِلِ يَا أَخِي
لَكِنِّي تَسْتَمْتِعُ بِعَرَفِي الرَّائِعِ ..



وَقَادَهُ تَعْلُوبٌ إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ ، فَأَجْلَسَهُ فِي أَفْضَلِ مَقْعَدٍ ، ثُمَّ
أَحْضَرَ الشَّايَ ، وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الْعَرْفَ قَالَ لَارْنُوبُ :
- فَلْتَسْتَمِعِ الْآنَ إِلَى عَرْفِي ، وَلْتَحْكَمْ عَلَيْهِ بِنَفْسِكَ ، وَلْتَقُلْ لِي
إِذَا كَانَ هُنَاكَ مُوسِيقَارٌ يُدَانِينِي فِي الْعَرْفِ ..
فَقَالَ اَرْنُوبُ :

- أَنَا وَاثِقٌ بِأَنَّهُ لَايُوجَدُ مُوسِيقَارٌ مِثْلَكَ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا ..



وَبَيْنَمَا كَانَ تَغْلُوبٌ مَشْغُولًا بِالْحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَعَنْ مَوَاهِيهِ
 الْفَنِّيَّةِ الْخَارِقَةِ ، كَانَ أَرْثُوبٌ مَشْغُولًا بِتَفْحُصِ أَرْجَاءِ الْمَنْزِلِ ، بَحْثًا
 عَنْ صُنْدُوقِ الْمَجْوَهَرَاتِ ، حَتَّى عَثَرَ عَلَيْهِ أَخِيرًا مَوْضُوعًا فِي
 رُكْنِ الْمَنْزِلِ بَيْنَ التُّحَفِ وَالْأَشْيَاءِ الثَّمِينَةِ ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا كَبِيرًا ،
 وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

- لَنْ أَغَادِرَ هَذَا الْمَنْزِلَ ، بِدُونِ صُنْدُوقِ التَّاجِرِ الْمِسْكِينِ ، الَّذِي
 غَضَبَهُ تَغْلُوبٌ الْجَشَعُ ..



وَبَدَأَ تَعْلُوبُ عَرْفَهُ عَلَى النَّأْيِ ، فَأَخَذَ يَنْفُخُ فِيهِ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ
قُوَّةٍ ، وَأَخَذَ النَّأْيُ يُصْنِدِرُ صَرِيرًا مُرْعِجًا ، فَهَرَبَ النَّاسُ مِنْ
بُيُوتِهِمْ ، وَمَضَتْ الْقِطَطُ ، بَيْنَمَا أَخَذَتِ الْكِلَابُ تَعْوِيً شَدِيدًا
وَتَظَاهَرَ أَرْثُوبٌ بِالْإِنْصَاتِ إِلَى ذَلِكَ الْعَرْفِ الرَّائِعِ ، الَّذِي لَمْ يَسْتَمِعْ
إِلَى مِثْلِهِ مِنْ قَبْلُ ..

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ تَوَقَّفَ تَعْلُوبُ عَنِ الْعَرْفِ ، وَمَالَ عَلَى أَرْثُوبٍ قَائِلًا :
- هَيْه .. مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا الْعَرْفِ الرَّائِعِ ؟



فَقَالَ أَرْثُوبٌ مَتَّظَاهِرًا بِالْإِعْجَابِ الشَّدِيدِ :

- عَزِيزِي تَعْلُوبًا ، لَا أَكْذِبُ عَلَيْكَ ، إِذَا قُلْتُ لَكَ : إِنِّي عِنْدَمَا كُنْتُ
أُنْصِتُ إِلَى عَرْفِكَ الْحَالِمِ ، نَسِيتُ تَمَامًا أَنَّنِي مَارَلْتُ عَلَى الْأَرْضِ ،
وَحَيَّلْتُ إِلَيَّ أَنَّنِي أَحْلَقُ فِي الْفَضَاءِ ، بَلَا أَجَنَحَةَ .. أَنْتَ حَقًّا
مُوسِيقَارٌ لَأَمْثِيلَ لَهُ ..

فَمَسَحَ تَعْلُوبٌ عَيْنَيْهِ مِنَ التَّأَثُّرِ ، وَقَالَ لَهُ :

- إِنَّ إِعْجَابِي يَزْدَادُ بِكَ بِاسْتِمْرَارٍ يَا أَرْثُوبُ ، وَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ
مَقَالِيكَ الْقَدِيمَةَ مَعِيَ ..



فَقَالَ أَرْنُوبٌ : أَشْكُرُكَ يَا صَدِيقِي الْقَدِيمَ ، وَلَكِنْ لَا تَغْضَبْ مِنِّي إِذَا
 قُلْتُ لَكَ : إِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ شَخْصًا يَعْرِفُ أَفْضَلَ مِنْكَ ..
 فَنَظَرَ إِلَيْهِ تَعْلُوبٌ بِغَضَبٍ ، وَقَالَ لَهُ :
 - وَبِمَاذَا كَانَ هَذَا الْعَارِفُ يَتَمَيَّزُ عَلَيَّ يَا صَدِيقِي ؟
 فَقَالَ أَرْنُوبٌ : كَانَ هَذَا الْعَارِفُ يَسْتَطِيعُ الْعُرْفُ عَلَى نَاحِيَةِ ثَلَاثِ
 سَاعَاتٍ ، وَهُوَ مُغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ ..



فَضَحِكَ تَعْلُوبٌ بِشِدَّةٍ ، وَقَالَ لَهُ :

- أَنَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْرِفَ عَلَى النَّهْيِ لِمُدَّةِ خَمْسِ سَاعَاتٍ مُتَوَاصِلَةٍ ،

وَأَنَا مُغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ ، وَدُونَ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى أَصَابِعِي ..

فَقَالَ لَهُ أَرْثُوبٌ بِمَكْرٍ :

- أَنَا لَا أَصَدِّقُ ذَلِكَ يَا صَدِيقِي ..

فَقَالَ تَعْلُوبٌ :

- إِذَا لَمْ تَكُنْ تُصَدِّقُنِي فَأَعْصِبْ عَيْنَيَّ بِمِئْدِيلٍ ، وَأَنْصِتْ

إِلَى عَرَفِي .



وَلَمْ يَتَرَدَّدْ أَرْثُوبٌ طَوِيلًا ، بَلْ سَارَعَ بِإِخْضَارٍ مَبْدِيلٍ ،
 وَعَصَبَ عَيْتِي تَغْلُوبٍ بِشِدَّةٍ ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَرَى شَيْئًا ..
 وَعَاوَدَ تَغْلُوبُ الْعَرْفَ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَقْوَى مِنَ السَّابِقِ ، فَاسْتَمَرَ مُوَاءُ
 الْقِطَطِ ، وَعَوَاءُ الْكِلَابِ ، وَابْتَعَدَ النَّاسُ أَكْثَرَ عَنْ مَنَازِلِهِمْ مِنْ هَوْلِ
 الضُّجِيجِ .

وَانْتَهَرَ أَرْثُوبُ الْفُرْصَةَ السَّابِقَةَ ، فَحَمَلَ صُنْدُوقَ

الْمُجَوْهَرَاتِ ، وَوَضَعَهُ فَوْقَ سَرُجِ حِصَانِهِ ، وَطَارَ إِلَى
 حَيْثُ يَنْتَظِرُ التَّاجِرُ سَعِيدُ الْحَطِّ ،
 فَسَلَّمَهُ إِيَّاهُ ..



أَمَّا تَعْلُوبٌ فَقَدْ ظَلَّ يَعْرِفُ طَوَالَ اللَّيْلِ ، حَتَّى هَدَّهَ الثَّعْبُ ،
 فَتَوَقَّفَ عَنِ الْعَرْفِ مُخَاطِبًا ارْتُوبًا الَّذِي ظَنَّهُ مَازَالَ جَالِسًا يُنْصِتُ
 إِلَى عَرْفِهِ ، وَعِنْدَمَا رَفَعَ الْمِنْدِيلَ عَنْ عَيْنَيْهِ لَمْ يَجِدْهُ ، وَلَمْ يَجِدْ
 صُنْدُوقَ الْمُجَوَّهَرَاتِ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ خَدَعَهُ ، وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ
 وَضَعَ كُلَّ ثَرَوَاتِهِ مِنَ النُّقُودِ مَعَ الْمُجَوَّهَرَاتِ ، فَأَخَذَ يَنْدُبُ حَظَّهُ ،
 وَتَأَكَّدَ أَنَّ عَاقِبَةَ الطَّمَعِ وَخَيْمَةٌ ، فَهَلْ سَيَتَعَلَّمُ مِنْ ذَلِكَ دَرْسًا ،
 وَيَكْفُ عَنْ طَمَعِهِ وَجَشَعِهِ 14

(تَمَّت)

